الرسالة

تصدرها
جمعية الدراسات القبطية
نيوجرزي – أمريكا

السنة الثانية عشر | العدد الخامس : مايو ١٩٩٣

دراسات فى السياسة المصرية

حول اختيار بطريرك الاسكندرية

دكتور رائف مرقص

حافظت الكنيسة القبطية بكل حرص على تقاليدها وعلى القوانين المسلمة اليها منذ العصر الرسولى ، ولا أكون مبالغاً لو قلت أنها حافظت على تقاليدها بأمانة أكثر مما حافظت على سلامة بنيها .

ومع كل هذا التدقيق إلا أن الكنيسة ليس لها حتى الآن مبدأ ثابت أو قانون معروف يؤخذ به فى عملية انتخاب بطريرك الاسكندرية أو فى طريقة اختياره .

إن البطريرك لم يعد رئيسا دينيا وحسب ولكنه شخص له وزنه فى الحياة المصرية وعلى الصعيد العالمى ، وليس من شك فى أن خلو هذا المركز السامى يثير تطلعات جهات كثيرة أفراداً ومؤسسات كما أن مخططات عديدة – داخلية وخارجية – تجد فى الوصول الى هذا الكرسى فرصة سانحة لتقريب الوصول الى أهدافها .

ومن هنا كان لابد من اليقظة الشديدة كى لايصل إلى هذا المركز إلا الجدير والقادر على تمثيل هذه الكنيسة العريقة والمقدر لمسئوليته تجاهها وتجاه شعبه .

ولقد كان بطريرك الاسكندرية هو الشخص الوحيد الذى لم تفرضه السلطات المدنية على المصريين على مر العصور ، بل كان الشعب هو الذى ينتخبه ، فأصبح من جراء ذلك ممثلا حقيقيا للشعب المصرى ، يعبر عن طموحه وأمانيه ، كما أنه أصبح الشخص الوحيد المطلوب منه أن يصمد ضد سلطان الحاكم أو من يمثله .

وقد كان سلطان البطريرك مطلقاً وشعبيته غير متنازع عليها – هذا إذا تم انتخابه من خلال النظام السليم المستقر ، وبمعنى آخر أن تقليد الكنيسة *القبطية يحرص على أن يشارك الشعب فى اختيار البطريرك ، وحيث أن* المؤسسة الدينية ليست ذات ارتباط مباشر بالحكم السياسى ، وأن اختيار البطريرك لايتم بقرار من الحاكم ، فلن أتعرض فى مجال الحديث لتدخل السلطات المدنية فى تفضيل مرشح ضد آخر ، أو التلكع فى اصدار مرسوم تعيين البطريرك أو فى فرض أتاوة مالية للحصول على أمر التعيين ، كما كان يحدث فى عهد السلاطين المماليك والأيوبيين – ولكنى سأركز على المهاترات الداخلية بين الأقباط والصراع بين الأحزاب المختلفة واستخدام الرشوة أحياناً مما يؤدى الى تدخل السلطات المدنية . وذلك فى ظل عدم وجود لائحة ثابتة أو قانون موحد ينظم عملية انتخاب وترشيح البطريرك ، بل على النقيض **فإن اللائحة تعدل وتغير فى كل مرة يخلو فيها الكرسى البطريركى** ، بل والأدهى من ذلك أن اللائحة توفق توفيقاً خاصاً لخدمة مرشح معين أو استبعاد مرشح آخر .

ويكفى أن نذكر أن عدم وجود قانون يحدد طريقة انتخاب البطريرك أدى الى تواجد اثنين من البطاركة على الكرسى الرسولى فى وقت واحد فى اوائل القرن الثالث عشر ، وكلاهما قبطى أرثوذكسى وكلاهما تليت عليه مراسيم صلوات الرسامة وهما غبريال الثالث (البطريرك ٧٧) ويؤنس السابع (البطريرك ٧٨) ولأن البطريرك غبريال تنيح قبل يؤنس لذلك وضع اسمه أولا فى ترتيب البطاركة .

وفى سنة ١٨٧٥ اعتنق القمص ميخائيل رئيس دير انبا بولا الدين الاسلامى لعدم اختياره بطريركا ونقل أوقاف الدير الى اسمه الجديد .

وقد كان بطريرك الاقباط مصدر قلق دائم لسائر الولاة المسلمين منذ عمرو بن العاص . إذ أدركوا مدى نفوذ هذا الحبر وعملوا فى الحال على وضعه تحت رقابة شديدة ومطالبته بالخضوع للسلطة المدنية وبمعنى آخر

أنهم منعوه من اتخاذ أى اجراء حتى فى محيطه الدينى دون استئذانهم ، وبدأوا أولا اقرار انتخاب البطريرك فألزموه أن يقيد اسمه فى سجلات الديوان قبل أن يباشر أعماله ، وفى سنة ٧٩٩ تحول هذا التقليد الى قانون فى ولاية الليث بن الفضل .

وقد حفل تاريخ السلاطين الأيوبيين والمماليك بما يثبت تدخلهم لتأييد مرشح ضد آخر أو الزام الأقباط بدفع مبلغ من المال قبل صدور قرار تعيين البطريرك .

وفى التاريخ الحديث نسمع أن الوالى عباس باشا يستشير العرافين والمنجمين قبل أن يسمح بتعيين خلفا للبطريرك بطرس السابع (البطريرك ١٠٩) وذلك فى منتصف القرن التاسع عشر .

وسأقتصر فى هذا المجال على عرض تاريخى سريع يوضح التغيرات والتعديلات التى أدخلت على قانون انتخاب واختيار البطريرك على مدى نصف قرن من الزمان فى الفترة من سنة ١٩٢٧ حتى سنة ١٩٧١ .

عقب نياحة البطريرك كيرلس الخامس فى ١٧ أغسطس ١٩٢٧ بعد أن تربع على الكرسى الرسولى ٥٣ عاماً ناهز بها عمره المائة ، تفجرت طاقة من السخط بين الأقباط حتى ليبدو لنظرة خارجية أن انقساماً خطيراً يتهدد الكنيسة ، وقد شب الخلاف فى أيام معدودات حتى صعب التنبؤ بما كان سيكون لو أستمر لو لم تأت وفاة سعد زغلول بعد أسبوع واحد لتكسر من حدته ولتنقل اهتمام المصريين جميعا فى هذا الشعور بالحزن المرير لوفاة زعيم ثورتهم .

وقد اتفق عقب نياحة الانبا كيرلس الخامس على وضع لائحة ثابتة ولكن ليس فى أثناء خلو الكرسى المرقسى أى أنه **لايجوز تغيير اللائحة أثناء خلو الكرسى** منعا للانقسامات من جهة ، ومنعا من الاغراض من جهة أخرى ولكى لاتوفق اللائحة توفيقاً خاصاً لخدمة مرشح معين أو استبعاد آخر ، وأيضاً لكى لاتطول مدة خلو الكرسى فى مناقشات ربما لاتسفر عن شئ لشدة تمسك كل فريق بوجهة نظره . وقد ظهر على المسرح مرشحان هما أنبا مكاريوس مطران اسيوط وأنبا يؤانس مطران البحيرة بالاضافة الى القمص يوحنا سلامة الذى سبق له أن تزوج فى شبابه قبل أن يندمج فى سلك الرهبنة .

وكان الملك فؤاد متردداً فى اصدار مرسوم بتعيين خلفاً للانبا كيرلس لولا الضغط عليه من امبراطور اثيوبيا الذى هدد بعدم التوقيع على اتفاقية تنظيم مياه النيل، لأن اثيوبيا بالتالى كانت فى انتظار رسامة مطران عليها .

وقد أعلن الملك فؤاد لتوفيق دوس باشا «أنا أعرف أنبا يؤنس شخصياً ويهمنى أن يكون هو على رأس الكنيسة فى الوقت الحاضر» ، وعندئذ ذكره الباشا بأن القانون الكنسى لايجيز للمطران أن يعتلى الكرسى البابوى ، ولكن الملك خطط مع الوزير القبطى التحايل على القانون الكنسى بأن حصر الناخبين فى ثلاث فئات هى الوزراء الحاليين والسابقين ، وأعضاء مجلس البرلمان وبعض الأثرياء تخيرهم الملك بنفسه ، وبلغ جميع الناخبين ٩٦ فقط ، حينذاك أمر الملك وزيره بأن يبلغهم رغبته فى أن يفوز أنبا يؤنس بالعرش البطريركى .

وفى أعقاب ذلك اجتمع المجمع المقدس للكنيسة القبطية فى ١٨ يونيه ١٩٢٨ وبعد الصلاة والتداول قرر المجمع بأن جميع الكنائس الرسولية تحتم انتخاب البطريرك من بين الاساقفة ، وأنه من حق الاسقف أن يرقى الى درجة البطريرك . وبذلك ضرب المجمع المقدس بعرض الحائط قرار مجمع مقدس سابق فى حبرية البطريرك ميخائيل (البطريرك ٤٦) فى عهد الخليفة العباسى جعفر المنصور والذى ينص على ألا يصير أسقف بطريركا ، وعلى قرار مجمع مقدس آخر عقد فى سنة ١٨٦٥ والذى أكد أيضا الاستمرار بمبدأ عدم ترقية الاسقف الى البطريركية . **وصدر أمر ملكى رقم ٨٤ لسنة ١٩٢٨ محدداً شروط انتخاب بطريرك الاقباط وطريقة اختياره** ، وبعد ذلك صدر أمر ملكى بتعيين أنبا يؤنس بطريركا للاسكندرية فى ٩ ديسمبر ١٩٢٨ وبذلك تربع على عرش مارمرقس الى أن تنيح فى ٢١ يونيه ١٩٤٢ ، وبدون استطراد تفاصيل قد تكون مملة عادت من جديد مشكلة اللائحة المنظمة لترشيح البطريرك وانتخابه لتسير جنبا الى جنب مع عملية ترشيح البطريرك الجديد **ومرة أخرى تعدلت لائحة انتخاب البطريرك وصدرت لائحة جديدة فى ٩ نوفمبر ١٩٤٢ ، ثم تعدلت مرة أخرى بقانون ٧٣ لسنة ١٩٤٣،** وصدر أمر ملكي فى ٨ فبراير ١٩٤٤ بتعيين أنبا مكاريوس الثالث بطريركا للكرازة المرقسية ، ولم يطل العمر بالانبا مكاريوس بعد توليه عرش مارمرقس إذ تنيح فى ٣١ اغسطس سنة ١٩٤٥ ، بعد عام ونصف قضاها فى الاحزان والآلام النفسية والاعتكاف فى الدير . **وبعد ذلك مباشرة تعدلت اللائحة من جديد** وصدر امر ملكى فى ١٤ مايو ١٩٤٦ بتعيين أنبا يوساب الثانى بطريركا ، وتنيح غبطته فى ١٣ نوفمبر ١٩٥٦ .

وظل الكرسى الرسولى بعد ذلك شاغراً لمدة ثلاث سنوات لأن عبد الناصر كان قلقاً من أن يكون هناك مبدأ انتخابى ديموقراطى فى عهده ، وأخيراً بعد تلكع شديد وبإلحاح أيضاً من الامبراطور هيلاسلاسى أبدى موافقته بشرط أن تجرى الانتخابات فى أضيق الحدود ، وذكر أنه هو الذى أوحى بمبدأ الاختيار بالقرعة .

ورشحت الجماهير ثلاثة من الرهبان الجامعيين هم الأب متى المسكين والقمص مكارى السريانى (أنبا صموئيل) والقمص أنطونيوس السريانى (قداسة البابا شنودة الثالث) .

وازاء هذه الرغبة العارمة من الشباب وإزاء تزكيتهم لثلاثة من الشباب أصاب الذعر النظام الحاكم فى اوائل حكم عبد الناصر ، فقررت الحكومة الغاء لائحة الانتخاب السابقة ، ولاسيما أنه لم يكن يخفى عنها نشاط هؤلاء الرهبان وغيرتهم وحماسهم .

وصدر قرار جمهورى فى ٣ نوفمبر ١٩٥٧ بلائحة انتخابات جديدة

معدلة تقرر فيها أن يكون المرشح للكرسى البابوى يجب ألا يقل عمره عن أربعين عاماً وأن يكون قد مضى عليه فى الرهبنة ١٥ عاماً على الأقل ، وأجازت اللائحة الجديدة للمطارنة حق الترشيح .

وكان مؤدى هذه اللائحة ابعاد هذا الجيل من مدارس الاحد ، وكانت هذه أول مرة فى تاريخ كنيسة الاسكندرية يذكر فيها شرط تحديد سن المرشح ، ومن المعروف أن القديس أثناسيوس الرسولى كان فى السابعة والعشرين عندما تولى قيادة كنيسة الاسكندرية ، وأن القديس كيرلس الكبير كان فى السادسة والثلاثين .

وتهدئة للخواطر أدرج أنبا اثناسيوس مطران بنى سويف السابق وقائمقام البطريرك حينذاك اسم الراهب مينا المتوحد البرموسى بوصفه المعلم والمرهبن لهؤلاء الشبان من جيل مدارس الاحد المبعدين عن حق الترشيح . وكان أن تربع البابا كيرلس السادس على عرش مارمرقس فى مايو ١٩٥٨ وتنيح فى ٩ مارس ١٩٧١ ، وعقب نياحته مباشرة اجتمع المجمع المقدس ودخل فى دوامة الانتخابات الأولية ، واعترض أنبا شنودة – وكان اسقفا للتعليم حينذاك – وكان على حق بقوله : إن قوانين الكنيسة تعلم بأنه من حق الشعب أن يختار راعيه فيجب أن نأخذ رأى الشعب ، واعترض بعض المطارنة خوفاً من حملات الدعاية والتشهير فرد أنبا شنودة «لو أختير البابا فى مثل هذه الحجرة المغلقة بدون رأى الشعب سيكون هذا سبباً لتجريحه فيما بعد» **ووسط هذه الاجتماعات اجتمع مجلس الشعب فى ابريل ١٩٧١ وقرر تعديل لائحة الانتخاب** بحيث ألغى دور المجلس الملى فى الترشيح وفى التزكيات وفى باقى بنود اللائحة القديمة ، والغيت كل التزكيات والترشيحات السابقة لذلك . وتم الانتخاب بناءاً على بنود اللائحة المعدلة فى ٢٩ اكتوبر ١٩٧١ وأجريت بعد ذلك قرعة بين المرشحين فى ٣١ أكتوبر ، وقد ذكر محمد حسنين هيكل فى كتابه «خريف الغضب» أنه حضر مناقشة فى بيت السادات حول انتخابات البابا الجديد بعد نياحة البابا كيرلس ، كان الاجتماع يضم السادات ورئيس الوزراء ووزير الداخلية ، وبدأ أن وزير الداخلية كان يميل الى تأييد انتخاب أنبا شنودة وأضاف أنه يستطيع ان يضمن نوايا أنبا شنودة ولايستطيع أن يفعل ذلك بالنسبة للمرشحين الاخرين وانحاز السادات – على حد قول هيكل – الى رأى وزير داخليته ، وحين تمت اجراءات الانتخابات بالقرعة فإن الاسم الذى فاز كان هو أنبا شنودة .

من هذا العرض التاريخى السريع يتضح جلياً كيف أنه فى أقل من نصف قرن تغيرت لائحة انتخاب البطريرك ست مرات ، ولاننسى أيضاً أنه فى كل مرة كان يخلو فيها الكرسى كان يتفق على أن تصدر لائحة ثابتة بعد الانتخاب .

ألم يحن الوقت بعد لكى يتخذ البابا شنودة موقفا حاسما فى هذا الشأن ، نرجو ذلك لأن عدم وجود لائحة ثابتة وقانون موحد معروف يشجع مؤسسات وهيئات خارجة عن الكنيسة للتدخل بطريقة ما أو بأخرى .

ويليق بنا أن نشير الى مقال قيم كتبه الدكتور وليم سليمان فى مجلة الطليعة فى أغسطس ١٩٧١ عنوانه «انتخاب البطريرك والتراث الديموقراطى المصرى» ، يمكن الرجوع الى هذا المقال للاسترشاد بأرائه القيمة وعلى التعديلات التى يقترحها ومن أهمها الحرص على مبادئ القانون الكنسى .

كما أنه يجب أن يحترم مبدأ ارتباط الاسقف بأبروشيته فلا يسمح بترشيح من تعلو درجته على درجة قمص، دون تفرقة بين نوع من الاساقفة وآخر .

كما أنه ينبغى ان يزداد عدد الناخبين من القاهرة والاسكندرية والمهجر بحيث يمثلون صورة الجماهير الشعبية تمثيلا صحيحا .

ويليق بى وإن كنت لا أدعى أنى على دراية بالطقس الكنسى أن أطالب بإلغاء مسألة القرعة أو مايمكن أن نسميه مبدأ «الصدفة فى الاختيار» لأن هذا يسلب ديموقراطية الأختيار حقها ، كما أنى أعتقد أنه مبدأ غير طقسى بتاتاً ولايتفق مع تقليد كنيستنا .

وقد أثبت التاريخ أن البطريرك الذى يأتى من خلال النظام الكنسى السليم المستقر يكون أقدر على كسب احترام الجماهير والتأثير فيها بينما البطريرك الذى يعين بطرق غير شعبية يكون عادة معزولا عن شعبه لايعلم عنهم شيئا ولايعلمون هم عنه شيئاً . أى يظل سجيناً فى القصر البطريركى وإن كان يحمل اسم الجالس على عرش مارمرقس .

دكتور رائف مرقص

الرسالة

- صوت الشعب القبطي الصارخ من أجل الكنيسة وتقليدها
- هدف الرسالة الوصول إلى جميع الأقباط في مصر والمهجر

رئيس التحرير:
د . رودلف بني (بنسلفانيا)

هيئة التحرير:
د . بولس عياد عياد (كولورادو)
د . سمير حكيم (المملكة المتحدة)
د . فوزي جرجس (نيوجرزي)
د . جرجس عبد المسيح ابراهيم (مينوسوتا)
د . فايق اسحق (تورنتو ــ كندا)

Now in its 14th year

COPTIC CHURCH REVIEW

A Quarterly of Contemporary Patristic Studies

* Written by Patristic and Coptic Scholars and Churchmen in Europe and America.

* Articles discuss in depth important themes in :
  - Bible study with emphasis on spiritual exegesis.
  - Liturgical life of the Church.
  - Lives of the Church Fathers and Coptic Saints.
  - Translations of original Coptic and Greek Manuscripts.
  - Reviews of recent books that deal with patristic, liturgic or Coptic studies.

* No other journal can both satisfy your spiritual life and enrich your religious knowledge - a Journal you are going to enjoy and treasure as a reference for years to come.

* The best gift you can give to the English-speaking Copts or other Christians who want to have an indepth knowledge of Coptic and early Church Tradition and Spirituality .

Subscription $ 8.00/year
Send to :
Society of Coptic Church Studies
P.O.Box 714
East Brunswick, NJ 08816

أخبار

تحسن فى العلاقات مع الكنيسة الاثيوبية

بعد قطيعة بين الكنيسة القبطية والكنيسة الأثيوبية منذ عام ١٩٧٤ حين اعتقلت السلطات الشيوعية البطريرك الشرعى لأثيوبيا وأقامت بطريركاً أخر، وبعد أن ساءت العلاقات بين الكنيستين خلال العام الماضى (راجع اخبار الرسالة عدد مارس الماضى) حدث تحسن ملحوظ فى العلاقات بين الكنيستين وعاد الحوار المباشر بينهما بزيارة وفد أثيوبى على أعلى المستويات (يضم أربعة من المطارنة) نزل ضيفا على قداسة البابا فى دير الأنبا بيشوى لمدة خمسة أيام فى مارس الماضى جرت فيها مباحثات مع وفد الكنيسة القبطية المكون من أصحاب النيافة الأنبا بيشوى والأنبا انطونيوس مرقس والانبا موسى والانبا سرابيون .

ويبدو انه من اسباب تجدد العلاقات إقامة البطريرك الانبا باقلوس لأثيوبيا بطريقة شرعية فى يوليو الماضى ، وشخصية ذلك البطريرك اذ جمع بين التقوى والجهاد من أجل الايمان ، وصلاته المسكونية ، وعلمه اللاهوتى .

أول مدرسة قبطية فى المهجر

فى أول عمل جدى فى بلاد المهجر لبناء الأجيال الجديدة ، قام أقباط ملبورن بإنشاء مدرسة قبطية . بدأوا بالقسم الابتدائى عام ١٩٩١. ويجرى العمل بهمة فى افتتاح المرحلة الثانوية فى فبراير ١٩٩٤ بعد أن حصلوا على الترخيص لها من الإدارة التعليمية .

نحتاج إلى مثل هذه المشروعات فى العواصم الامريكية التى بها تجمعات قبطية . نرجو من الله أن يدعو بعض رجال التعليم فينا إلى هذه الخدمة الحيوية لكل أسرة .

Society of Coptic Church Studies
P.O. Box 714
E. Brunswick, NJ 08816

Non Profit Org.
U.S. Postage
PAID
Lebanon, Pa 17042
Permit No. 56